

أدب تميّة السّلام في الإسلام

د. جميلة بن ساسي

المعهد العالي لأصول الدّين

جامعة الزيتونة.

اتفق الجميع على أنّ العقل العربيّ الإسلاميّ اليوم يشكو حالة من الجمود والركود نتيجة اجتزاره للمدونات المكتوبة ووقوفه عندها. وفي العلوم الشرعيّة لا يختلف الأمر عن هذا الوضع، فقد أغلق باب الاجتهاد وأصبحت العودة مقتصرة على المدونات واجتهاد العلماء في العصور الغابرة. ولئن نادى الجميع بضرورة القطع مع هذه المرحلة السّلبية إلاّ أنّه لم يبادر أحد بالفعل الجديّ، ووقف الأمر عند حدّ المناداة بفتح باب الاجتهاد والتّديد بالحالة السّلبية التي يعيشها العقل المسلم اليوم. إنّ الشّعور بهذه الوضعيّة السّلبية حتمّ علينا المبادرة بالفعل والعودة المباشرة إلى النّصوص التّأسيسيّة من كتاب وسنة دونما مقاطعة بقيّة المدونات الشرعيّة واجتهادات العلماء التي تبقى في حيز الاستئناس بها لا اجتزارها وتطبيقها في زمن غير زمانها وواقع غير واقعها، فبالعودة إلى جملة هذه الاجتهادات التي دونت نرى أنّ أغلبها اليوم يطبق على مضض وحتى نرفع اللبس فإنّه يكفي أن لا تجد البديل لتطبيقه وإن كانت هذه الاجتهادات لا تستجيب لمتطلبات الواقع. ومما لا شكّ فيه أنّ المواضيع التي لها مساس بفقّه

النساء تستدعي منا المراجعة والاجتهاد نظرا إلى ما وجدته هذه النصوص من واقع مترد للمرأة حاولت إصلاحه حتى لا تقع في صدام مع هذا الواقع.

وحرّي بنا اليوم أن نواصل نهج الإصلاح في ضوء قراءة واعية للنص الشرعيّ وعدم تقديس ما قاله العلماء والفقهاء وعدم تعطيل لاجتهاداتهم وإسقاطها في واقع المرأة المتغيّر اليوم والذي أدّى إلى انقسام بين اتجاهين : اتجاه الرافضين لهذه الاجتهادات الذين يرون أنها معطّلة للمرأة مثبّطة لها، واتجاه ثان قد تمسكّ بهذه الاجتهادات وقداستها والعودة إليها كلّما اقتضى الأمر دونما وعي. والثابت أنّ المقدّس كلام الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وسلّم وليس قراءة المجتهدين لهذه النصوص وفي هذا الإطار يجدر بنا أن نطرح جملة من المسائل التي نتعرّض لها في حياتنا اليومية ويصرّ البعض على أنها الدين ذاته الذي يجب أن نعصّ عليه بالنّواجز في حين أنّ المسألة اجتهاد بشريّ، ومن هذه المسائل تمسكّ شريحة من النّاس بعدم مصافحة المرأة بتعلّة اتّباعهم للسنة أولا وتطبيقهم للشريعة ثانيا، ولا شكّ أنّ مصافحة المرأة تدخل في باب أعمّ هو "أدب السّلام في الإسلام" فما هو "أدب السّلام في الإسلام" ؟ وهل فعلا تمثّل مصافحة المرأة اليوم إحراجا لدى المصافح الرّجل ؟ وإلى أيّ مدى يجب علينا توعية أبنائنا وأجيالنا اللاحقة بالفهم الحينيّ المعاصر للنصوص وعدم اجترار ما قيل وتقديسه ؟

1 - التعريف الاصطلاحي :

إنّ النّظر في معنى تحيّة السّلام يجرّنا إلى البحث في مرادف مثل كلمة "التّحية" ولفظ "المصافحة" وغيرهما، فهذه المصطلحات تتبني على معان هامة لا بدّ من الوقوف عندها.

أ - معنى السّلام :

جاء في لسان العرب أنّ السّلام يأخذ أربعة معاني :

- أولها سلّمت سلاما مصدر سلّمت.
- الثاني السّلام جمع سلامة.
- الثالث السّلام اسم من أسماء الله.
- الرابع السّلام شجر⁽¹⁾

والمعنى الذي يهمنّا في بحثنا هو المعنى الأوّل يعني "السّلام الذي هو مصدر سلّمت أنّه دعاء للإنسان بأن يسلم من الآفات في دينه ونفسه، وتأويله التّخليص"⁽²⁾، إذن فالسّلام بهذا المعنى يحمل منحى إيجابياً وشعورا نبيلًا من الباث إلى المتقبّل ينمّ عن علاقة طيّبة بين الطرفين.

ويختلف استعمال هذا اللفظ بإضافة "عليكم" قبل السّلام وبعده وحذفها في حالة ثالثة، فيقال : "السّلام عليكم" و"عليكم السّلام" و"السّلام" حسب الاستعمال، كما قيل إنّ مجيء الإسلام تزامن مع أمره بالسّلام وتأكيد على إفشاءه⁽³⁾.

ب - معنى التّحية :

ذهب البعض إلى أنّ التّحية والسّلام بمعنى واحد⁽⁴⁾ وهو "السّلامة من جميع الآفات"⁽⁵⁾، وهذا التعريف للتّحية أشمل لأنّ السّلام اقتصر على الدّعاء للسّلامة في الدّين والنّفس، في حين نجد أنّ هذا التعريف قد أهمل مثلا الجانب

(1) ابن منظور (جمال الدّين) : لسان العرب، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1990، م 2، ص 291.

(2) ن-م.

(3) ابن منظور (جمال الدّين) : لسان العرب، م 2، ص 289.

(4) ابن منظور (جمال الدّين) : لسان العرب، م 2، ص 289.

(5) ن - م، ص 290، أنظر أيضا :

- القرطبي (محمّد) : الجامع لأحكام القرآن، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، سنة 1987، ج 5، ص 297.

- ابن عاشور (محمّد الطاهر) : تفسير التّحرير والتّوير، الدّار التونسية للنشر، ج 5، ص 146.

الماليّ فلم يدعو إلى سلامة الشخص في ماله كسبا وارترافا أو إنفاقا وتبذيرا، أمّا التّحيّة هنا فهي تدعو إلى السّلامة العامّة من جميع الآفات دون تخصيص والرّاجح في الاستعمال أنّ تحيّة الإسلام هي السّلام، فالتّحيّة اسم جامع، والسّلام فعل مخصوص، فيكون السّلام في وجه من وجوهه نوعا من التّحيّة خصّ به الدّين الإسلاميّ المسلمين.

2 - النّواحي الشرعيّة للمسألة :

أ - مشروعيّة السّلام وحكمه :

الإسلام دين أدب وسلام بني على مكارم الأخلاق وحسن المعاملة داخل الأسرة وبين أفراد العائلة وفي المجتمع بين شرائحه المختلفة، ودعا إلى ضرورة التّسامح مع غير المسلمين، وقد تبلورت هذه الأسس في ممارساته في الواقع المعيش.

دعا الإسلام إلى حسن القول وطيبّ الفعل، فأكد على إفشاء السّلام وإلقاء التّحيّة وقد ورد لفظ سلام وسلاما وتحيّة في أغلب سور القرآن تقريبا⁽⁶⁾.

جاء الأمر بالتّحيّة والسّلام في غير موضع من القرآن الكريم قال تعالى (فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة)⁽⁷⁾ وقوله تعالى ﴿وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كلّ شيء حسيبا﴾⁽⁸⁾، أمّا من السّنة النبويّة، فحدّثنا أحمد بن أبي شعيب، حدّثنا زهير حدّثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال

(6) النّساء : 4، المائدة : 5، الأنعام : 6، الأعراف : 7، يونس : 10، هود : 10، الرعد : 13، إبراهيم : 14، الحجر : 15، النحل : 16، مريم : 19، طه : 20، النمل : 27، القصص : 28، الأحزاب : 33، يس : 36، الصّافات : 37، الزّمر : 39، الزّخرف : 43، ق : 50، الذّاريات : 51، الواقعة : 56، الحشر : 59، القدر : 97، وغيرها من الآيات كثير.

(7) سورة النور : 61/24.

(8) سورة النّساء : 86/4.

رسول الله ﷺ : "والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم" (9).

وجاء في الحديث الثاني عن قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عبد الله بن عمر أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ : "أيّ الإسلام خير ؟ قال : تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لا تعرف" (10).

إنّ أكّد القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على ضرورة إفشاء السلام، وجعل ذلك من أوكّد الأمور حفاظاً على نبل العلاقات الاجتماعية وتمتين لأواصرها وحفاظاً على متانتها، وقد ضبط الدين الإسلامي طرقات بسيطة سهلة تساهم في نشر المحبة والحفاظ على العلاقات الاجتماعية السّمة نجني ثمارها في المجتمعات الإسلامية، في حين تقطف المجتمعات الغربية سلبات ضمورها وغيابها عندهم، فالمسلمون متشبعون بالكلمة الطيبة التي دعا الله إليها (ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء) (11).

والسلام من الكلام الطيب الذي يستعمله المسلم مع كلّ من يلقاه وفي كامل يومه، بل حتّى الإسلام على إفشاء السلام عند الدخول إلى البيت الذي يخلو من الناس حفاظاً على أن يكون كلام المسلم طيباً سلاماً مباركاً من عند الله (12).

وخلاصة القول إنّ البدء بالسلام سنة مؤكّدة من سنن الإسلام وردّه واجب (13).

(9) سنن أبي داود : كتاب الأئب، باب إفشاء السلام، ج 5، ص 378، رقم 5193.

(10) سنن أبي داود : كتاب الأئب، باب إفشاء السلام، ج 5، ص 379، رقم 5194.

(11) سورة إبراهيم : 24/14.

(12) ابن أنس (مالك) : الموطأ، برواية يحيى بن يحيى بن كثير اللبثي الأندلسي، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، سنة 1989، ص 639، رقم 1795.

(13) الغرياني (الصادق) : مدونة الفقه المالكي وأدلتها، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، سنة 2002، ج 2، ص 339-340.

ابن رشد (أبو الوليد) : المقدمات الممهّدات، دار إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الأولى، سنة 1988، ج 3، ص 439.

ب - آداب السّلام وصيغته :

التّحيّة من كمال أخلاق المسلم، والله تعالى حتّى على إفشاء السّلام وفضل البادئ به على المجيب عليه، روى محمد بن يحيى بن فارس الذّهلي أخبرنا أبو عاصم عن أبي خالد وهب عن أبي سفيان الحمصي عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : "إنّ أولى النّاس بالله تعالى من بدأهم بالسّلام" (14)، وقد ضبطت السّنة النّبويّة آداب التّحيّة بجعل الأحقيّة بها لطرف على آخر، جاء في باب من أولى بالسّلام حدّثنا أحمد بن حنبل حدّثنا عبد الرزّاق أخبرنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : "يسلم الصّغير على الكبير والمارّ على القاعد والقليل على الكثير" (15).

وفي رواية ثانية حدّثنا يحيى بن حبيب أخبرنا روح حدّثنا ابن جريج قال أخبرني زياد أنّ ثابتاً مولى عبد الرحمان بن زيد أخبره أنّه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : "يسلم الرّاكب على الماشي" (16)، وفي حديث آخر جاء عن سويد بن نصر أخبرنا عبد الله أخبرنا حيوة بن شريح أخبرني أبو هانئ الخولانيّ عن عليّ الجنبّي عن فضالة بن عبيد أنّ رسول الله ﷺ قال : "يسلم الفارس على الماشي والماشي على القائم والقليل على الكثير" (17).

14) عون المعبود بشرح سنن أبي داود، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، سنة 1969، ج 14، ص 103.

15) ابن العربي أبو بكر : عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج 10، ص 177.

سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب من أولى بالسّلام، ج 5، ص 380-381، رقم 133-134.

16) ن-م، ص 381.

17) ابن العربي أبو بكر : عارضة الأحوذى، ج 10، ص 454.

الغزالي (أبو حامد) : إحياء علوم الدّين، دار تمل للنشر والتّوزيع، سنة 1986، ج 6، ص 21.

وبالعودة إلى هذه الأحاديث تراءى لنا تقديم جانب على آخر وطرف على ثأن وذلك محافظة على أحقية التّواصل، فقدّم الحديث الأوّل مبادرة الصّغير بالسلام على الكبير احتراماً لسنّه ويبدأ المارّ بالسلام على القاعد والقليل على الكثير تقديرًا لحالة ثبوت الجالس ووقاره، أمّا سلام القليل على الكثير فلأنّ الأفضلية للجمع على الفرد.

ومن آداب السلام التي على المسلم اتباعها أيضًا هو ما جاءت به السنّة الفعلية من السلام عند دخول المجلس وعند مبارحته، فعن أحمد بن حنبل ومسدّد قالوا حدّثنا عن ابن عجلان عن المقبريّ قال مسدّد سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : "إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإذا أراد أن يقوم فليسلم فليست الأولى بأحقّ من الآخرة" (18)، وفي ذلك احترام وتقدير للحضور بإفشاء السلام عليهم عند لقائهم وعند توديعهم.

ومن أدب السلام أن يبلغ الواحد سلام من أقرّاه إلى غيره، فقد روي في باب تبليغ السلام عن علي بن المنذر الكوفي أخبرنا محمد بن فضيل عن زكريا بن أبي زائدة عن عامر قال : حدّثني أبو سلمة أنّ عائشة حدّثته : " أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال لها : إنّ جبريل يقرئك السلام قالت : وعليه السلام ورحمة الله وبركاته" (19)، فالسلامة أمانة على الشخص تبليغها حفاظًا على أهميتها التي أولاها إيّاها الدين الإسلامي وحثّ على الحفاظ عليها.

وللسلام صيغ معلومة معروفة، فعن عبد الله بن عبد الرّحمان والحسين بن محمد الجريري بلخي قالوا : حدّثنا محمد بن كثير عن جعفر بن سليمان الضبيعي عن عوف عن أبي رجاء عن عمران بن حسين أنّ رجلاً جاء إلى

(18) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في السلام إذا قام من المجلس، ج 5، ص 386، رقم 5208.

(19) المباركفوري (محمّد) : تحفة الأحوذى، دار الفكر للطباعة والنّشر والتوزيع، الطّبعة الثالثة، سنة 1979، م 7، ص 470-471، رقم 2834.

النبي ﷺ فقال : "السلام عليكم قال : قال النبي ﷺ : عشر. ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله فقال النبي ﷺ : عشرون. ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال النبي ﷺ : ثلاثون" (20).

وهكذا تكون أتم صيغة للتحية هي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وتكون بصيغة الجمع سواء ألقيت على جماعة أو فرد.

وتعدّ هذه الصيغة الأكمل لما فيها من ثواب الدعاء لمن وقع عليه السلام، كما أنّ الاقتصار على صيغة السلام عليكم مجزأة، ويكره قول "عليك السلام" مبتدئاً بل على المسلم أن يبدأ "بالسلام عليكم" لأنّ هذه الصيغة كما أثر عن الرسول ﷺ أنّها تحية للأموات فقد جاء في الأثر عن سويد أخبرنا عبد الله أخبرنا خالد الحذاء عن أبي تميمة الهجيمي عن رجل من قومه قال : "طلبت النبي ﷺ فلم أقدر عليه فجلست فإذا نفر هو فيهم ولا أعرفه وهو يصلح بينهم فلما فرغ قام معه بعضهم فقالوا : يا رسول الله، فلما رأيت ذلك قلت عليك السلام يا رسول الله، عليك السلام يا رسول الله، عليك السلام يا رسول الله قال : إنّ عليك السلام تحية الميت إنّ عليك السلام تحية الميت، ثلاثاً ثمّ أقبل عليّ فقال : إذا لقي الرجل أخاه المسلم فليقل السلام عليكم ورحمة الله ثمّ ردّ عليّ النبي ﷺ فقال : وعليك ورحمة الله وعليك ورحمة الله وعليك ورحمة الله" (21).

3 - أنواع السلام :

السلام قد يكون مشافهة وهو القول الذي يطلقه الشخص على ثان، وقد يكون مصحوباً بالمصافحة أو إشارة أو قبلة أو غيرها من الوسائل.

(20) ابن العربي : عارضة الأحوذى، أبواب الاستئذان، باب ما ذكر في فضل السلام، ج 10، ص 161-162.

(21) ابن العربي : عارضة الأحوذى، باب كراهية أن يقول عليك السلام، ج 10، ص 188.

أ - أوجه السلام :

حدث الرسول على المبادرة بالتحية وجعل أفضلية للبادئ بها لأنها من سننه، ومن أحيا سنة فله أجرها وأجر من عمل بها جاء في الأثر "حدثنا علي بن حجر أخبرنا قرآن بن تمام الأسدي عن أبي فروة الرهاوي يزيد بن سنان عن سليم بن عامر عن أبي أمامة قال : قيل يا رسول الله الرجلان يلتقيان أيهما يبدأ بالسلام ؟ فقال : أولاهما بالله" (22).

وجاء في الحديث حدثنا محمد بن يحيى (بن فارس) الذهلي حدثنا أبو عاصم عن أبي خالد وهب عن أبي سفيان الحمصي عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : "إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام" (23).

لقد حدث النبي ﷺ على المبادرة بالسلام نظرا إلى فضله ولما فيه من بث المحبة والتواصل بين الملتقين، والسلام من كلام المسلم وهو أول ما يبدأ به، بل لقد أكد العلماء على ضرورة البدء بالسلام حتى قبل الاستئذان، فقد جاء في الحديث عن سفيان بن وكيع حدثنا روح بن عبادة عن بن جريج أخبرني عمرو بن أبي سفيان أن عمرو بن عبد الله بن صفوان أخبره أن كعدة بن حنبل أخبره أن صفوان بن أمية بعثه بلبن ولبن وضغابيس إلى النبي ﷺ والنبي ﷺ بأعلى الوادي قال : "قدخلت عليه ولم أسلم ولم أستأذن فقال النبي ﷺ : ارجع فقل السلام عليكم أدخل وذلك بعدما أسلم صفوان" (24)، فالسلام هو أول عمل يبدأ به المسلم أخوه المسلم وهو الوسيلة الأساسية للتواصل بين الناس لما ينطوي عليه من معاني المحبة والألفة والتوادد، وقد يكون السلام مجردا من اللمس ولكن قد يصاحبه لمس من مصافحة وقبلة وقد يكون بالإشارة.

(22) المباركفوري (محمد) : تحفة الأحوذى ، باب في فضل الذي يبدأ بالسلام، م 7، ص 472.
(23) سنن أبي داود : كتاب الألب، باب في فضل من بدأ بالسلام، م 5، ص 380، رقم 132 - 133.
(24) ابن العربي : عارضة الأحوذى، أبواب الاستئذان، باب ما جاء في التسليم قبل الاستئذان، ج 10 ص 179.

أما السّلام بالإشارة، فقد جاء النّهي عنه لأنّ فيه تشبّها بالنّصارى واليهود، فقد جاء في الحديث "حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه أنّ رسول الله ﷺ قال : ليس منّا من تشبّه بغيرنا لا تشبّهوا باليهود ولا بالنّصارى فإنّ تسليم اليهود الإشارة بالأصابع وتسليم النّصارى الإشارة بالأكف" (25).

في حين تعدّ المصافحة من أعلى مراتب التّحيّة وتامامها، فقد جاء في الحديث عن سويد بن نصر أخبرنا عبد الله أخبرنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن عليّ بن يزيد عن القاسم أبي عبد الرحمان عن أبي أمامة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال : "تمام عيادة المريض أنّ يضمّ أحكم يده على جبهته أو قال : على يده فيسأله كيف هو وتامام تحياتكم بينكم المصافحة" (26).

وقد روي أنّ أولّ من جاء بالمصافحة هم أهل اليمن حدثنا موسى بن إسماعيل أخبرنا حمّاد أنبأنا حميد عن أنس بن مالك قال : لما جاء أهل اليمن قال رسول الله ﷺ : "قد جاءكم أهل اليمن وهم أولّ من جاء بالمصافحة" (27) وقد عمل الرسول ﷺ بالمصافحة فكان يصافح ويضع يده في يد غيره وما كان عليه السّلام يرفع يده إلّا بعد أن يرفعها الطّرف الثّاني، وفي ذلك أدب في التّعامل بل حتّى في السّلام، جاء في الحديث حدثنا سويد بن نصر أخبرنا عبد الله بن المبارك عن عمران بن زيد التّغلي عن زيد العميّ عن أنس بن مالك قال : "كان النّبي ﷺ إذا استقبله الرّجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتّى يكون الرّجل

(25) ابن العربي : عارضة الأحودي، أبواب الاستئذان، باب ما جاء في التّسليم قبل الاستئذان، ج 10 ص 179.

(26) ن - م، م 10، ص 192.

(27) عون المعبود : باب في المصافحة، ص 122، رقم 5191.

الذي ينزع، ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذي يصرفه ولم ير مقدماً ركبته بين يدي جليس له» (28).

وقد لا يقف السلام عند المصافحة بل يتجاوز إلى التقبيل، وللتقبيل أوجه عدة منها تقبيل اليد أو الخد أو الرأس أو أي جزء من الجسد، فقد جاء في مشروعية قبلة اليد حديث أحمد بن يونس أخبرنا زهير أخبرنا يزيد بن أبي زياد أن عبد الرحمان بن أبي ليلى حدثه أن عبد الله بن عمر حدثه وذكر قصة قال : «فدنونا - يعني من النبي ﷺ - فقبلنا يده» (29).

وقد يكون السلام بالمعانقة والقبلة فعن محمد بن إسماعيل حدثنا إبراهيم بن يحيى بن محمد بن عباد المدني حدثني أبو يحيى بن محمد بن إسحاق عن محمد بن مسلم الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت : «قدم زيد بن حارث المدينة ورسول الله ﷺ في بيتي فأثاه ففرع الباب فقام إليه رسول الله ﷺ عريانا يجر ثوبه والله ما رأيته عريانا قبله ولا بعده فاعتنقه وقبله» (30). إن تقبيل اليد أو الخد هو ما جاءت به جملة من الروايات ولم يمنعه الرسول ﷺ بل هنالك أوجه أخرى للتقبيل مثل تقبيل الجسد والرجل (31).

ومن هنا يمكن القول إن طرق السلام والتحية تختلف حسب الأعراف والأمكنة، وباستقراءنا للواقع المعيش يمكن أن نلاحظ اليوم أن لكل بلد عاداته في التحية، فهناك من يقبل الخد وآخر الرأس وثالث الكتف وغيرهم كثير. ولعل الطريقة غير مهمة ما دام الغرض والهدف هو التوادد والتراحم بين الناس، فبأي الأشكال كان حصل المغزى والمراد. ومن هنا، فلا حرج من هذه

(28) سنن الترمذي : كتاب صفة القيامة، باب 46، ج 4، ص 654 - 655، رقم 2490.

(29) عون المعبود : باب في قبلة اليد، ص 132، رقم 5201.

(30) عارضة الأحوذى : أبواب الاستئذان، باب ما جاء في المعانقة والقبلة، ص 193.

(31) سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب في قبلة الجسد وباب في قبلة الرجل، ج 5، ص 393 - 394، رقم 5223 - 5224.

العادات اليوم التي ربّما يستغرب الشخص عندما يرى شخصا آخر ثانيا على هيئة لم يعدها لأن المرجعية في ذلك آثار السنّة والأحاديث الصّاح، حيث وقع إثبات مشروعيّة هذه الممارسات التي وإن اختلفت فهي تجتمع على نفس المعنى وهو بثّ السّلام والتّحيّة لغاية الألفة والرّحمة بين النّاس.

ب - السّلام على الصّبي والذّمي :

اتفق على أفضليّة التّسليم على الصّبيان فقد جاء في الحديث حدّثنا عبد الله بن مسلمة حدّثنا سليمان عن ثابت قال : "قال أنس أتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على غلمان يلعبون فسلم عليهم"⁽³²⁾، وفي رواية أخرى عن "أبي الخطاب زياد بن يحيى البصري حدّثنا أبو غياث سهل بن حماد حدّثنا شعبة عن سيّار قال : "كنت أمشي مع ثابت البناني فمرّ على صبيان فسلم عليهم فقال ثابت : كنت مع أنس فمرّ على صبيان فسلم عليهم وقال أنس : كنت مع رسول صلّى الله عليه وسلّم فمرّ على صبيان فسلم عليهم"⁽³³⁾. وتذهب أغلب الرّوايات إلى التّسليم على الصّبيان لأنّه من فعل الرّسول صلّى الله عليه وسلّم في حين هنالك من الآراء من يرى أنّه لا يجب أن يسلم على الصّبيّ ومستندهم في ذلك أنّ الصّبيّ لا يلزمه الرّدّة، فلا ينبغي أن يسلم عليهم عندئذ، وهنالك من سلك طريقا حاول فيه الخروج من الخلاف بالتّسليم على الصّبيان دون إسماعهم⁽³⁴⁾. والحاصل أنّ التّسليم على الصّبيان فيه تربية لهم على حسن التّعامل والتّواصل مع الآخر وهو تهذيب لنفوسهم على ضرورة التّحيّة وخاصّة لمن هم أكبر منهم سنّا وفيها احترام وتوادد ضروريّ أن نربّي عليه صبيّتنا قبل كهولنا لأنّها نفوس

(32) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في السّلام على الصّبيان، ج 5، ص 382، رقم 5202، وأخرجه البخاري في الاستئذان 68/8، باب التّسليم على الصّبيان، ومسلم في السّلام حديث : 2168، باب السّلام على الصّبيان، والترمذي في الاستئذان : 2697، باب ما جاء في التّسليم على الصّبيان، وابن ماجه في الأدب، حديث 2700، باب السّلام على الصّبيان.

(33) ابن العربي : عارضة الأحوذى، ج 10، ص 170.

(34) القرطبي (محمّد) : الجامع لأحكام القرآن، ج 7، ص 302.

طبعة في طور اكتساب المعارف ينبغي تلقينها مبادئنا الإسلامية السمحة ليكونوا خير خلف، ولعل في سلوك الرسول ﷺ وتحيته للصبيان والسلام عليهم درساً في تدريبهم على حسن المعاملة وممارسة هذا السلوك فضلاً عن كونه دليلاً على ما للطفولة من مكانة لدى الرسول ﷺ، ولقد اعتبرت الأنظمة الدولية اليوم أنها سبّاقة في إعطاء الطفولة حقها وحمايتها في حين أن الرسول الكريم كان أسبق الناس إلى الاعتراف بحقوق الطفل، ومن أؤكد حقوقه احترامه وإفشاء التحية عليه، ولم تكن شعارات ترفع كما ترفعها المنظمات الدولية والعالمية اليوم، فمن لا يمارس التحية مع الصبيان فليس له الحق في مطالبتهم بسلوك حضاري في المستقبل.

* السلام على الذمي :

حدثنا حفص بن عمر حدثنا شعبة عن سهيل بن أبي صالح قال : خرجت مع أبي إلى الشام، فجعلوا يمرّون بصوامع فيها نصارى فيسلمون عليهم فقال أبي : لا تبدؤوهم بالسلام فإنّ أبا هريرة حدثنا عن الرسول ﷺ قال : "لا تبدؤوهم بالسلام وإذا لقيتموهم في الطريق فاضطروهم إلى أضيق الطريق"⁽³⁵⁾.

إنّ النهي صريح في هذا الحديث على عدم بدء الكافر بالسلام وليس فيه نهى على التسليم عليه مطلقاً في حين لو عدنا إلى النص القرآني (وإذا حييتم بتحية) ⁽³⁶⁾ (فحيوا بأحسن منها أو ردوها)⁽³⁷⁾، وقد قصر المجتهدون الأمر هنا على المسلمين وجعلوا الأمر خاصاً بهم في حين فرق بعض العلماء فجعلوا

(35) ابن العربي : عارضة الأحوزي، أبواب الاستئذان، باب ما جاء في التسليم على أهل الذمة، جزء 10، ص 105.

سنن أبي داود : كتاب الأدب، باب في السلام على أهل الذمة، ج 5، ص 383-384.

(36) سورة النساء : 86/4.

(37) ن - م.

ابتداء غير المسلم بالسلام غير جائز أما الردّ عليه فهو واجب تمسّكا بعموم الآية⁽³⁸⁾.

ومن هنا، فإنّ الأمر جاء بعدم بدئهم بالسلام، ولئن فهم السلام في معناه الضيق بالتحية فقد يكون السلام أعمّ وأشمل من ذلك. أمّا التحية فالنص فيها صريح، فقد ورد في القرآن الكريم بألفاظ صريحة ومعان محكمة لذا فهذا النص لا يحتاج إلى البحث عن غيره من السّنّدات، فإذا ما كان التشريع نصياً من القرآن فنحن نعمل به لثبوته، أمّا غيره من السّنّدات وإنّ كانت السّنة فإنّها بالضرورة داعمة وموافقة للنص القرآني وهذا ما يجرّنا إلى القول إنّ إفشاء السلام أمر مرغوب فيه والإجابة عنها واجب أمّا ما ذكرته السّنة من أحكام فهي لا تتعارض مع النص القرآني، فالمسلم كلّ لا يتجزأ فيعامل النّاس معاملات كلّ حسب موقعه واعتقاداته وميولاته، إنّ المسلم مثال للاستقامة ولدمائة أخلاقه وحسن دينه، فهو يعامل الجميع بأدب واحترام لذا فالمسلم هو قناعة وممارسة تبين عن أخلاق المسلم وسلوكه، فقد جاء في الأثر أنّ الرّسول ﷺ كان يسلم على من يعرف ومن لا يعرف⁽³⁹⁾، حدّثنا يحيى بن موسى أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزّهريّ عن عروة أنّ أسامة بن زيد أخبره "أنّ النّبيّ ﷺ مرّ بمجلس فيه أخلاط من المسلمين واليهود فسلم عليهم"⁽⁴⁰⁾.

4 - الضرورة الملحة لطرح الموضوع في واقعنا :

من المفارقات التي نجدها اليوم هو إيماننا الصادق بضرورة طرح هذا الموضوع والأمل يحدونا بأن لا يقع طرحه من جديد ونستطيع إنهاء البحث في

(38) القرطبي (محمّد) : الجامع لأحكام القرآن، ج 7، ص 303-304.

(39) ابن عاشور (محمد الطاهر) : مقالة بعنوان، التحية في الإسلام، الهداية، س 11، ع 2، ص 10-11.

سنن أبي داود : كتاب الأدب، باب في إفشاء السلام، ج 5، ص 379، رقم 5194.

(40) المباركفوري (محمّد) : تحفة الأحوذى، ما جاء في السلام على مجلس فيه المسلمون وغيرهم، ص 472، رقم 2845.

هذه المسألة بالوصول إلى إجماع فيها، فضرورة طرح هذا الموضوع تمكن من تجاوز اللبس الحاصل عند البعض الذين يزعمون أنه واضح للعيان ومفهوم للأذهان، لكن عند معاینتنا لهذه المسألة تبینت لنا جملة من الظواهر.

أ - الواقع المعیش :

باستقراءنا لواقع الحال وخاصة لدى شبابنا اليوم، نلاحظ تفشي عادات وممارسات بدأت تظهر وتنتشر في مجتمعنا بعضها أخذناها من الثقافات الوافدة علينا وخاصة الثقافة الغربية وبعضها جاء كرد فعل عن عاداتنا والدعوة إلى القطع معها.

ومن هذه الممارسات كيفية السلام بين الذكور والإناث، والمقصود به الوسيلة المعتمدة عند التحية فمع تغير صفة السلام واستبدالها بصيغ عدة بعضها تجاوز المصطلحات العربية إلى الأجنبية مثل "Bonjour" "bye bye" إلى إدغام بعض الكلمات والترميز لها بحروف وتقديم كلمات هجينة لا معنى لها مثل "Savan" وكما تغيرت الألفاظ أو المصطلحات تغيرت الوسيلة، فمن المشافهة إلى وضع اليد في اليد المقابلة تحول السلام إلى التقبيل بأساليب مختلفة وعديدة، وأصبحت هذه الممارسة هي المتفشية بين شبابنا ليست فقط ممن لهم قرابة دموية بل أصبح التقبيل العادة الجاري بها العمل عند القيام بالتحية خاصة في المدن ولدى شريحة الشباب.

ولئن كانت هذه الممارسة لدى هذه الفئة لا تحمل خلفيات لديهم وليس فيها من المضرّة الناشئة في الحاضر إلّا أننا نريد القطع معها لعدة أسباب، فشبابنا اليوم هم أمّهات وآباء المستقبل، والتقبيل كممارسة تخلّ بالحياء خاصة إذا ما اقترن ببعض الألفاظ مشافهة تخذش بالحياء ويصبح التجرؤ على لمس الطرف المقابل من عدة مناطق من جسده من الأمر العادي فيؤدي ذلك إلى نوع من التسيّب واللامسؤوليّة لدى شبابنا.

ب - التّصوّرات الشّائعة :

على طرف نقيض يقف طرف ثان على رفض الاختلاط مع جنس النّساء وعدم التّواصل معهنّ ويعدّ ذلك من الممارسات المخلّة بالأدّاب، لذا يدعو البعض اليوم إلى ضرورة الفصل بين الرّجال والنّساء في العمل وأماكن الدّراسة ووسائل النّقل وغيرها من الأماكن، وممن فرض عليهم الواقع المعيش التّواصل مع النّساء والتّعامل معهنّ جعلوا هذا التّواصل مشروطاً، فقد منع البعض مصافحة المرأة واعتبروا ذلك مخلاً بالأدّاب، وقد استندوا إلى أقوال الأئمة المجتهدين بالعودة إلى مسألة اللّمس في الفقه، لأنّ المفهوم من حقيقة اللّمس هو اللّمس باليد، فقد ذهب بعض الفقهاء إلى القول بانتقاض الوضوء عند لمس من يشتهى عادة، وجعلوا اللّمس من قبلة أو مداعبة أو مباشرة باليد، وقد قيّد المذهب المالكي⁽⁴¹⁾ وجود اللّذة والقصد إليها، فإذا ما قصد الشّخص من التّحيّة التّلذّذ بالطّرف الثّاني ووجد ذلك فإنّ عليه وضوء في حين أنّ هذا الرّأي لا يتماشى مع ممارسات اليوم، ذلك أنّ المصافحة اليوم مثلاً بين جنسين مختلفين تقف عند التّحيّة فقط، وهي من العادة التي انتشرت في الواقع وفي مجتمعاتنا، فصارت من العرف والحال أنّ العرف محكّم إذا لم ينجرّ عنه إخلال بالأدّاب أو ممارسة معصيّة، فالتّحيّة التي يستعمل فيها الطرفان اليد كوسيلة للمصافحة المغزى منها هو التّوادد والتّحابب لا التّفكير في اللّذة، ثمّ إنّ الشّخص قد يصافح في اليوم مئات الأشخاص من الجنس المقابل فهل سيعيش يوماً كلّه في التّفكير في التّلذّذ، ثمّ إنّنا نحن المسلمون المتشبعون بالقيم النبيلة والمبادئ السّامية في غنى عن هذه الممارسات الشّاذّة والمرضيّة التي يعاني منها من لا يحكمه وازع ديني ومبادئ أخلاقيّة ساميّة.

(41) الجزيري (عبد الرحمان) : كتاب الفقه على المذاهب الأربعة، دار الفكر للطباعة والنّشر، سنة 1990، ج 1، ص 83.

إنّ هذا الاجتهاد لا يدعو إلى مصافحة المرأة كما لا يدعو إلى المقاطعة مع المصافحة، فهذا الفعل وإن أصبح من العادة الجاري بها العمل اليوم في مجتمعاتنا وهو كممارسة لا يحمل امتهانا ولا ابتدالا بأحد الطرفين إلّا أنّه يفتح الباب إلى البحث الجدّي في النصوص الشرعية التي تدعو في ظاهرها وتجمع حسب الشائع إلى منع المصافحة، فلزم علينا اليوم البحث في هذا الموضوع بكل حزم وجدية للوقوف على مشروعية هذا الفعل وعلى فهم واع للنصوص الشرعية وعدم الاتكاء عليها والتشديق بحمايتها في حين أنّ النفوس المريضة والنوايا الخبيثة هي المحرك الأساسي.

- حكم مصافحة المرأة الأجنبية⁽⁴²⁾ :

قبل البتّ في هذا الموضوع الذي يذهب البعض إلى تحريمه وشقّ ثان لا يعدّ البحث فيه من الضروريات كان لزاما علينا من منطلقات عدّة البحث فيه والبتّ إيماننا منّا بضرورة دراسة بعض المسائل الشرعية والأمور الفقهية وخاصة بفقهاء النساء وما يتصل بهنّ في عديد مجالات حياتهنّ وثانيا حرصنا الشديد على إعادة النظر في المسائل التي بقيت محيرة، ولئن وقع البتّ فيها من البعض إلّا أنّ ممارستها تكون عادة في غياب الاقتناع بها بل تقليدا في الغالب للسائد، ومن هذه الممارسات حكم جواز مصافحة الرجل للمرأة والمرأة للرجل.

إنّ المسار الذي سنسلكه هو تجميع أولي للمادة النصية الحديثية⁽⁴³⁾ لغاية قراءتها قراءة علمية واضحة وتفسيرها حسب ما يقتضيه الواقع والنص الشرعي لا العودة إلى ما قيل فيها من تفاسير لغاية رفع أي لبس أو تعميم، حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدّثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي حسين سمعه من شهر بن حوشب يقول أخبرته أسماء ابنة يزيد : "مرّ علينا النبي ﷺ في نسوة

(42) المقصود في علم الفقه بالمرأة الأجنبية هي من غير ذوات المحارم.

(43) المقصود بذلك أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

فسلم علينا⁽⁴⁴⁾. كما جاء في حديث سويدة أخبرنا عبد الله بن المبارك أخبرنا عبد الحميد بن بهرام أنه سمع شهر ابن حوسب يقول سمعت أسماء بنت يزيد تحدث "أن رسول الله ﷺ مرّ في المسجد يوماً وعصبة من النساء قعود فألوى بيده بالتسليم وأشار عبد الحميد بيده"⁽⁴⁵⁾.

انطلاقاً من هذين الحديثين يتبين لنا صراحة وجوب التسليم على النساء انطلاقاً من فعله صلى الله عليه وسلم في حين يرى البعض أن السلام لا لبس فيه على المتجالات⁽⁴⁶⁾ وأما الشابة ففي السلام عليها حرج ومن باب أولى منع ذلك سداً لذريعة الفتنة⁽⁴⁷⁾، فالرسول ﷺ لم يمرّ على النسوة دون أن يسلم عليهن وهذا الأمر لا خلاف فيه بين أهل العلم والمقصود بالسلام هنا هو المشافهة، فما حكم المصافحة ؟

- مصافحة المرأة :

أجمع علماء الشريعة على أنه لا يجوز للرجل أن يصافح امرأة أجنبية عنه انطلاقاً من فهمهم لقوله ﷺ الوارد في باب بيعة النساء حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا سفيان بن عيينة أنه سمع محمد بن المنكر قال : سمعت أميمة بنت رقيقة تقول : جئت النبي ﷺ في نسوة نبايعه فقال لنا : "فيما استطعن" وأطقن إني لا أصافح النساء"⁽⁴⁸⁾.

وجاء في الحديث الثاني "حدثنا أحمد بن عمر بن السرحي المصري ثنا عبد الله بن وهب قال : أخبرني يونس عن ابن شهاب، أخبرني عروة بن الزبير

44) سنن أبي داود : باب في السلام على النساء، ص 383، رقم 136 وأخرجه الترمذي، باب التسليم على النساء رقم 2698، وابن ماجه باب السلام على الصبيان والنساء، رقم 3701.

45) ابن العربي : عارضة الأحوذى، أبواب الاستئذان، باب ما جاء في التسليم على النساء، ج 10، ص 171-172.

46) المباركفوري (محمد) : تحفة الأحوذى، باب ما جاء في التسليم على النساء، م 7، ص 475.

47) القرطبي (محمد) : الجامع لأحكام القرآن، ج 5، ص 302.

48) سنن ابن ماجه، كتاب الجهاد، باب بيعة النساء، ج 2، ص 959، رقم 2874.

أن عائشة زوج ﷺ قالت : كانت المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله ﷺ يمتحن بقول الله (يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبایعنك) (49) الآية، قالت عائشة فمن أقرّ بها من المؤمنات فقد أقرّ بالمحنة، فكان رسول الله ﷺ إذا أقررن بذلك من قولهنّ قال لهنّ رسول الله ﷺ : انطلقن فقد بايعتكنّ لا. والله ! ما مسّت يد رسول الله يد امرأة قطّ، غير أنه يبایعنّ كلاماً (50).

إن انطلافاً من هذه النصوص هنالك تصريح قوي بأن الرسول لم تمسّ يده يد امرأة قطّ، وهذا متفق عليه بين الروايات جميعها ولا يخالفه قول، إلا أننا لا بدّ لنا من فهم هذه النصوص أولاً انطلافاً من واقعها وثانياً ضرورة فهم هذه النصوص واستيعابها لواقعنا، يعني لا بدّ من جعل هذه النصوص المقدسة موافقة لحاجيات زمن الرسول ﷺ وحاجيات زماننا أي ضرورة استيعابها لخمسة عشر قرناً من الزمن لقوله تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ (51).

إنّ عدم مصافحة الرسول صلى الله عليه وسلم للنساء مفسّر بأكثر من تعليل، وأقوى هذه التعليلات هو البحث في الحثيات التاريخية للمسألة، فقد كانت المرأة زمن نزول الوحي تقتل وتؤاد وليس ثمة لها حقّ معلن (52) ثم إنّ المرأة كانت متاعاً للبيت وخادماً ولم يكن ينظر إليها على كونها مخلوقاً له كرامته وحقوقه، وقد جاء الإسلام ليقطع مع هذه التصورات المذلة للمرأة والممارسات المهينة لها ويعدّ ما وصلت إليه المرأة في عهد نزول الوحي سابقة في ذلك الزمان، فقد أصبحت المرأة تطالب بحقّها (53)، ولقد حمى لها الدين الإسلامي

(49) سورة الممتحنة : 12/60.

(50) سنن ابن ماجه : كتاب الجهاد، باب بيعة النساء، ج 2، ص 959، رقم 2875.

(51) سورة المائدة : 3/5.

(52) سورة التكوين : 8-7/81.

(53) مطالبة الصحابيات بالسماح لهنّ بالصلاة في الجامع ومصاحبة جيوش المسلمين في جهادهم.

ذلك، إذ من فهمنا لهذا الواقع المهيّن للمرأة يمكننا أن نفهم أنّ مصافحة المرأة ومقابلتها وخروجها من المنزل كلّ هذه الأمور وغيرها كانت في بدايات ظهورها في المجتمع العربيّ الإسلاميّ، وقد جاء الإسلام متدرّجاً في تشريعاته لذلك جعل خروج النساء القواعد وتركهنّ للخمار وغيرها من التشريعات المتسامحة مع المرأة، في حين شدّد على الشّابات في الخروج وفي اللّباس وغيرها من المسائل لا قهراً لهنّ وتعتنا وإنّما حتى لا تتصادم تشريعاته مع الواقع المعيش المترديّ الذي أدلّ المرأة قرونا وقرونا. ولنا أن نتصوّر لو فتح الرّسول ﷺ على مصراعيه في تعامله مع النساء وطبّق مصافحتهنّ مثلاً فماذا سيكون مصيره من لدن أعداء مترصدين له بالضّرراء ولنا في حادثة الإفك خير مثال على الطّعن في أعراض المتعفّفات، فقد وصل الأمر إلى زوجة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، وكان الرّسول ﷺ منزّها محفوظاً من عند الله تعالى في تصرفاته وما عدم مصافحته للمرأة سوى عدم مصادمة مع الواقع المظلم المعيش آنذاك وليس استتقاصاً من النساء أو تحاشياً لهنّ وعدم التّعامل معهنّ.

أمّا اليوم ونحن نتعامل مع النساء صباحاً ومساءً، فقد أصبحت المرأة في تعامل مباشر مع الرّجل نتيجة الحاجة الماسّة إلى خدماتها، وقد كان من العادة أن لا يقتصر السّلام على المشافهة بل اقترن السّلام مشافهة بالمصافحة باليد وليس في الأمر ما يدعو إلى الاحتراز، ذلك أنّنا اليوم في تعاملاتنا خارج البيت يتصافح الجنسان دون أن يترك ذلك قلقاً لدى الطرفين، ولا بدّ من النّظر إلى أنّ النفوس المريضة هي التي تدعو إلى رفض المصافحة بتعلّة فعله ﷺ، في حين أنّ من يصافح لا يرى حرجاً ولا قلقاً لأنّه في فعله إنّما قصد الجانب الإيجابيّ من الفعل والتّواصل النّافع مع الطّرف المقابل ولم يكن وراء هذا الفعل نوايا خبيثة ولا قصداً دنياً.

أمّا من يرى في أنّ المصافحة وتحديدًا مصافحة المرأة ناقضة للوضوء فهل المرأة نجاسة حتى تتقضّ الوضوء؟!

إنّ التكلّسات والموروثات المهيّنة للمرأة هي التي تحرك تصوّراتنا واجتهاداتنا ثمّ قراراتنا. كما أنّ اجتهادات العلماء في العلوم الشرعيّة كتبت بأيدي رجال ينظرون إلى المرأة مفعولا به والرجل فاعلا، فهي الناقضة للوضوء وهي التي لا يجوز مصافحتها...

إنّ تطويع النصّ الشرعيّ إلى أغراض معيّنة لخدمة واقع ومصالح حينيّة يؤخّرنا ويجعل منه موطن طعن وريبة، فكيف نريد من الرسول ﷺ أن يصافح امرأة منذ خمسة عشر قرنا في حين أنّ البعض مازال إلي اليوم يرفض أن يصافح زوجته أو ابنته رجل، ثمّ بعد ذلك نقول إنّ الرسول صلى الله عليه وسلم منع مصافحة النساء؟!...

إنّ الدّعوة اليوم يجب أن تصبّ على أفهام البعض. أمّا فعل المصافحة من عدمها، فليس مشكلة ثمّ إنّ من يرفض مصافحة المرأة إنما يؤكّد ويمارس نظرتة الدونيّة للمرأة حتّى وإن نادى وصرّح بعكس ذلك وهذا هو التذبذب بعينه، فنحن اليوم مطالبون بفهم واع للذين ولنصوصنا لا بتجميدها، ثمّ بعد ذلك نأسف لوضعنا ونندب حظنا، فالذين يجب أن يكون عامل قوّة وتقدّم. ومن يرى عكس ذلك. فيجب إصلاحه هو قبل أن يبحث في النصوص ويحاول فهمها وتمثّلها.

الخاتمة :

والحاصل لدينا من خلال ما تقدّم بسطة أنّ البحث في جملة المواضيع التي وقعت معالجتها لا لغاية التكرار واجترار ما قيل، وليس هذا العمل من باب الطعن في مدوناتنا الموروثة والقطع معها ولكنه تشريع عمليّ وتأكيد على مشروعيّة قراءة حينيّة للنصّ تستجيب لمتطلبات الواقع وتتبع منه. ولا شك أنّ هذه الرؤية تؤكّد على أحقّية الاختلاف والتنوّع والثراء وبالتالي فتح باب

الاجتهاد على مصراعيه وتعدّ المسائل الفقهيّة من المواضيع التي تتجدّد يوميًا بتجدّد أفعال العباد.

لقد فتح باب التيسير في مسائل العبادة خاصّة بالتأكيد على فتح باب الاجتهاد والعمل به حسب متطلّبات الواقع وعادات الناس وظروفهم، ومن هنا جاء طرح موضوع أدب تحيّة السّلام في الإسلام نتيجة انفصال العلاقات الاجتماعيّة وتباعدها من ناحية وتداخل النّقافة الدّينيّة بغيرها من النّقافات الوافدة من ناحية أخرى، فوقع اللبس حتّى في كميّة التّحيّة وصيغة السّلام لدى أبنائنا في المجتمعات العربيّة الإسلاميّة ومن هذا المنطلق يجدر بنا التأكيد على ما يلي :

- ضرورة تنشئة شبابنا على تحيّة الإسلام وهي "السّلام عليكم" والأفضل "السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته"، لا استعمال بعض الرّموز والحروف مسايرة لتسارع الحياة.

- تثبيت آداب الإسلام التي أمر بها الرّسول ﷺ من مبادرة الصّغير للكبير والفرد للمجموعة والراكب للجالس وغير ذلك من الآداب.

- التّخلي عن جملة من الممارسات أو على الأقلّ عدم إلزام الآخرين بها مثل القول بمقاطعة مصافحة المرأة لأنّ في مصافحتها نقض للوضوء والاهتمام بما هو أهمّ.

- التّمسك بالنّاحية الأخلاقيّة في المجتمع وإصلاحها، لأنّ أغلب مشاكل المجتمعات جاءت نتيجة ضمور الوازع الدّينيّ وغياب المبادئ الأخلاقيّة السّميحة.